التناص القرآنى في شعر فدوى طوقان

أ.م. يعقوب مقديمى

قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة الحرة الاسلامية بتبريز/ إيران

Quranic Intertextuality in Fadva Toogan's poem.

Asst. prof. Maghdimi Yaghoob

Arabic language and literature Department, Islamic Azad University,Tabriz branch/ Tabriz/Iran

safaysafa4@gmail.com

Abstract:

Quran and its magnificient contents have been considered as the important sources and origins of Arabic poeatry. In the manner that, many poeats have got inspirations from Quran in terms of subjects and characters that were the central point of their works. Intertextuality is a new phenomeon for an old concept that has been created in the west as a result of investigating language issues, and has its origins in the old researches with different names and expressions such as, adaptation, testimony, gurantee ,anecdotes ,etc.

Inrecent researches myth has accepted the same task. Intertextuality has different types.. One of them is Quranic Intertextuality that many poets have dealt with Fadva Toogan is one of the poetesses that has used Quranic Intertextuality in her poetic intentions.She has adapted from Quran,in three ways:1. Quranic concepts,2. Quranic stories and3. Quranic lexicon.

In addition to trying to give a brief definition of intertextuality, this short article will reviewbriefly Toogan's biography and the adaptations of Quranic subjects in her works.

Key words: Quran, Intersexuality, contemporary poem, Fadva, Resistance.

الملخص:

مازال القرآن الكريم ومضامينه العالية من أهم روافد الشعر العربي، فاستلهم منه الشعراء الكثير فى الموضوعات والشخصيات التي كانت محوراً لإنتاجاتهم الأدبية العظيمة. والتناص Intertextualiy ظاهرة جديدة لمفهوم قديم ظهر إثر الدراسات اللسانية في الغرب، وله جذوره في الدراسات النقدية القديمة بتسميات ومصطلحات مختلفة كالاقتباس والتضمين والاستشهاد والمحاكاة وما شابه ذلك في الدراسات الحديثة كتوظيف الأسطورة. فالتناص هو أن يتضمن نصّ أدبى ما نصوصا أو أفكارا أخرى سابقة عليه عن طريق الإقتباس أو التضمين أو الإشارة بحيث تندمج النصوص مع النص الأصلى لتشكل نص جديد متوحد ومتكامل.

للتناص أنواع متعددة منها التناص القرآني الذي تناوله كثير من الشعراء منذ العصر الإسلامى حتى عصرنا الحديث ويمكن القول بأن التناص هو من الظواهر النقدية التي باتت تستخدم بشدة في النصوص الأدبية.

وكانت فدوى طوقان إحدى الشاعرات الآنسات اللاتى استخدمت فى أغراضها الشعرية التناص القرآنى واقتبست من القرآن الكريم بثلاثة الطرق: هى المفاهيم القرآنية، القصص القرآنية والألفاظ القرآنية. فى هذه المقالة الجامعية المتواضعة إضافة إلى التعريف بالتناص وحياة الشاعرة سنتناول اقتباسات الشاعرة من القرآن الكريم.

الكلمات الدليلية: القرآن الكريم، التناص، الشعر الحديث، فدوى طوقان، المقاومة

المقدمة:

يعدّ التناص من المصطلحات الوافدة عن الغرب ؛ وبدأت تنشر في الأدب العربي الحديث، ويقصد بهذا الممصطلح تولد نص واحد من نصوص متعددة ُقد تحدثت عنه البلغاريا جوليا كريستيفا ويقابل مصطلح Intersexuality بالإنجليزية (سمير،٧٤) وهو أن يتضمن النصّ الأدبى نصوصاً أو أفكاراً سابقة عليه أو معاصرة له عن طريق الاقتباس أو التضمين أوالتلميح أو الإشارة أو ما شابه ذلك من المقروء الثقافي لدى الأديب، بحيث تندمج هذه النصوص أو الأفكار في النص الأصلي وتندغم فيه ليتشكل

نص جديد واحد متكامل. وهذا التعريف مما يتفق عليه رواد هذا المصطلح وإن كانوا مختلفين فى رسم حدوده وموضوعاته. (الزغبى،١١). وتضاربت الآراء حوله فالبعض يراه أنه فقر من الكاتب حتى يلجأ إلى نص كاتب غيره وينسخ جزء منه مستخدما إياه في نصه. والبعض يرى أنه سرقة وتجروء من الكاتب على نص غيره (فالنسخ ولو جزئى يتم دون علم صاحب النص المنسوخ منه).

يعرف الدكتور موسى ربايعة التناص بأنه: « ظاهرة تشكل أبعاداً فنية وإجراءات أسلوبية تكشف عن التفاعل وأشكاله المختلفة بين النصوص إذ يقوم استدعاء النصوص بأشكالها المتعددة الدينية والشعرية والتاريخية على أساس وظيفىّ يجسد التفاعل الخلاّق بين الماضى والحاضر. (ربايعة،٧)

يرجع ظهور التناص كمصطلح نقدي ضمن الدراسات اللسانية إلى الناقد الشكلانى الروسي ميخائيل باختين إذ وضح مفهوم التناص من خلال كتابه« الماركسية وفلسفة اللغة»، بأنّه هو الوقوف على حقيقة التفاعل الواقع فى النصوص فى إستعادتها أو محاكاتها لنصوص – أو لأجزاء من نصوص– سابقة عليها. ثم استوى مفهوم التناص بشكل كامل على يد جوليا كريستيفا عام١٩٩٦، عندما استعملت المصطلح فى دراستها التطبيقية، فشاع التناص عن طريق مقالات هذه الباحثة في مجلة تيل كيل. (بنيس، ١٨٥–١٨٣)

ولقد تنوعت روافد هذا المصطلح في الأدب المعاصر بتأثير مدرسة النقد، والأساس فى جلّ الروافد هو التناص انطلاقاً من النص الشعري أو النثري، وباعتبار النص هو الجوهر المفاهيمي والدلالي الذي يؤخذ منه معطيات المصطلح الجديد.

مشكلة التعريف بهذا المصطلح وتعدد دلالاته ومفاهيمه في الدراسات النقدية العربية الحديثة تكمن في أنّ أغلب الترجمات التي قدمت حتى الآن هي ترجمات لأشخاص مختلفين مكاناً واتجاهات وثقافة... إلخ، لذا صادف هذا المصطلح الجديد–التناص– إشكاليات وصياغات متعددة حول ترجمته ومفهومه تناقلها الباحثون العرب وهي:

أ: التناص أو التناصية.

ب: النصوصية.

ج: تداخل النصوص أوالنصوص المتداخلة.

د: النص الغائب، ويقابلها النص الراهن أو الحاضر.

هـ: النصوص المهاجرة، والمهاجرة إليها.

و: النصوص الحالّة والمزاحة (الإحلال والإزاحة).

وغير ذلك من المصطلحات المترادفة، التي تشابهت في مدلولها– مع اختلافها– في مسمّى المصطلح. وتعدّد المصطلحات العربية للمصطلح الغربي« التناص» يؤدي إلى الارتباك لدى الباحثين ولكن يمكن الاستقرار على مصطلح « التناص» لكونه أكثر اتساعاً من التعريفات السابقة حيث إنّه نال قسطاً من الشهرة والانتشار على مستوى العالم العربي والغربي. (مفتاح،١٢١) أمّا الدكتور محمد بنيس فيقترح صياغة جديدة لمصطلح التناص حيث يسمّيه (النص الغائب) ويرى أنّ « النص الشعرى هو بنية لغوية متميّزة ليست منفصلة عن العلاقات الخارجية باالنصوص الأخرى، وهذه النصوص الأخرى هي ما يسمّيها بالنص الغائب... ويرى أنّ النص كشبكة تلتقى فيها عدة نصوص، وهي نصوص لاتقف عند حدّ النصّ الشعرى بالضرورة لأنّها حصيلة نصوص يصعب تحديدها، إذ يختلط فيها الحديث بالقديم، والعلمي بالأدبي، واليومي بالخاص، والذاتي بالموضوعي» (بنيس، ٢٥١)

اتسع مفهوم التناص وأصبح ظاهرة نقدية جديدة اهتم بها النقاد في الأدب الغربيّ، ثم أدخل تقنية التناصّ في الأدب العربي إثر الإحتكاك الثقافي الذي حدث بين الأدبين. أمّا التناص في الأدب العربى الحديث ظهر من جديد متأثراً بالدراسات اللسانية الغربية وكانت دراسة التناص في بداياتها قد اتّخذت شكل الدراسة المقارنة كما فعل عزّالدين المناصرة في كتابه «المثاقفة والنقد المقارن من منظور شكلي». (داغر، ١٣١–١٣٠) ثم تناول الباحثون إشكالية المصطلح نتيجة لاختلاف الترجمات والمدارس

النقدية، فالبعض أطلق عليه مصطلح النص الغائب، أو سمّاه «التعالق النصّي» وغيرها من المسميات. (مفتاح، ١٢٠و ما بعدها) المهمّ في التناص هو الصياغة الأدبية الجديدة التي تجعل النص شيئاً جديداً.

بعد هذه المقدمة النظرية لمفهوم التناص تجدر الإشارة بأنَ التناص ليس مفهوماً جديداً تماماً وإنّما هو موضوع له جذوره في الدراسات النقدية القديمة كالاقتباس والتضمين والاستشهاد والسرقة الأدبية وما شابه ذلك، وهي مصطلحات تدخل ضمن مفهوم التناص في صورته الحديثة والمفهوم الجديد قد اتّسع وتعمق بحيث احتوى هذه المصطلحات وأضيفت عليها عناصر جديدة وموضوعات تناصية أخرى كثيرة (المصدر نفسه، ١٩).

يشكل التناص في شعر الحداثة «بنية فنية وجمالية عميقة الصلة بنسيج القصيدة وخيوطها الدلالية بأبعادها الذاتية والإنسانية وامتزاج أزمانها الثلاثة الماضى والحاضر والمستقبل والتي كانت بمثابة وسائل تحريضية أو حدّاً فاصلاً لموقف نفسي يريد الشاعر تحقيقه في المستقبل، فهي تكشف الواقع أو تستعيد الماضى أو تستبق الزمن الحاضر إلى المستقبل كما يفعل الحلم الإنسانى في صنع مستقبل أفضل وأرقي ». (عبدالمطلب، ٥٣).

وقد ظهر التأثير القرآني منذ صدر الإسلام، وأشار ابن رشيق القيرواني في العمدة (ابن رشيق القيرواني، ٣٤/١) إلى ذلك الأثر –التناص– في الشعر المنسوب إلى الإمام على بن أبي طالب (ع) في قوله:

فَلَو كُنْت بَوَّابًا عَلَى بَابِ جَنَّةٍ لَقُلْتُ لِهَذَانِ: ادْخُلُوا بِسَلاَمِ

وهذا التأثير لم يكن بصورة لافتة للنظر في ذلك العصر، لأنه كانت علاقة قريبة بين القرآن والشعر – كما ظهرت ملامح هذا التأثير بصورة جلية في العصر الأموي وما بعدها من العصور الأدبية وامتدت حتى عصرنا الحديث.

حياة فدوى طوقان:

ولدت فدوى بمدينه نابلس في فلسطين عام ١٩١٧م، تعلمت تعليمها الابتدائي بمسقط رأسها، لكنها لم تتمّ تعليمها الثانوي ولم تدرس دراسة أكاديمية لظروف اجتماعية. (بكّار، ٧)

كانت فدوى طوقان فتاة حضرية أصيلة تثقّفت في بيت عريق المجد والجاه، فقد طاف شعرها منذ عشرين عاماً في آفاق الشام والعراق، وكان بشرى التجديد والإبداع في الشعر العربي المعاصر. (سكاكيني،٧٧)

فقد نجحت فدوى تحت ظلّ ثقافة أخيها أيّما نجاح واستطعت أن تنظم الشعر في سن مبكر. (بكّار،٧) لكن سرعان ما غيّب الموت إبراهيم فأسفت أشدّ الأسف شقيقته فدوى، فراحت تبكيه وترثيه. (سكاكيني،٧٧)

في الواقع أحدث موت إبراهيم في قلب الشاعره فاجعة لم تستطع الأيام أن تسدل عليها سقار النسيان وشقّ في فؤادها جراحاً لم تندمل، فجرت فيها ينابيع الحزن والأسى، فصاغت من دموع العين ودماء القلب المراثي تزخر باللوعة وتفيض بالألم، وهي في حزنها عليه و رثائها له تلتقى بالشاعرة المخضرمة الخنساء في بكائها على أخيها صخر، ورثائها له. ويبدو أن فجيعة فدوى بإبراهيم كانت فوق ما يحتمله قلبها، فأحالت حياتها الهانئة الرادعة إلي مأتم دائم، ودموع لا تجف وزفرات لا تنقطع وطبعت شعرها يطابع الأسى والحزن وأهدت الشاعرة ديوانها إلي روح شقيقها. (سوافيرى،٨٧٣)

كانت فدوى منذ طفولتها تحب الغناء والموسيقي لأنها كانت ترى في الغناء والموسيقي درباً للحرية. (ديوان فدوى،١٠) وتملك ميلاً فطرياً للشعر، وتتمتع بترداد محفوظاتها المدرسية. (المصدر نفسه،١٦)

نظمت فدوى طوقان في أغراض فنية متنوعة وكان من أهمّ أغراضها الشعرية المتميزة: الاجتماعيات، الإنسانيات، الوطنيات، الرثاء والوجدان، (البعينى،٣٠٨/٢) وأصدرت عدداً من المجموعات الشعرية ومن أهمها: ديوان الرحلة المنسية: فدوى طوقان وطفولتها الإبدائية، وحدي مع الأيام، وجدتها، أعطنا حبًّا، أمام الباب المغلق، الليل والفرسان، على قمة الدنيا وحيدًا، تمّوز والشيء الآخر، اللحن الأخير. (الجيّوسى،٣٢٦). كان شعرها عربىّ الديباجة، موسيقى التوقيع، رائق الأسلوب، فيه رنّة وصدى مستحبان. (البعينى، ٣١٦/٢)

كانت فدوى طوال حياتها عضواً في مجلس أمناء «جامعه النجاح» بنابلس وهي التي نظمت نشيدها الرسمي وشاركت في عدد من مؤتمرات والمهرجانات الوطنية والسياسية والأدبية والشعر به في العالم العربي من مثل؛ مؤتمر السلام العالمي باستوكهولم بالسويد، مؤتمر الكتاب الأفريقيين. (بكّار،٨) وحصلت على عدد كبير من الجوائز من بينها: جائزة الزيتونة الفضية الثقافية لحوض البحر الأبيض المتوسط. (الجيّوسى، ٣٢٦)

فدوى وأدب المقاومة:

في الوقت الذي تتصاعد فيه حركات المقاومة العربية في فلسطين، ثمة حركة مقاومة من نوع آخر لاتقلّ من حيث قيمتها المعنوية عن الحركة منذ سنوات قاد هذه الحركة الثانية رعيل من شعراء الأرض المحتلة، يجاهدون بالكلمة ويقاتلون بالحرف، حتي جعلوا لأدب المقاومة سمات من شعراء الأرض المحتلة الذين تتردّد أسماءهم في هذه الآونة؛ محمود درويش، سميح القاسم، توفيق زياد، فوزي الأسمر، راشد حسين، حبيب قهوجي وغيرهم. (المصدر نفسه، ٣٠)

شاعرية فدوى طوقان ليست بغريبة عن هذا الأدب. إن الشاعرة هي عربية فلسطينية ذاقت مرارة النكبة الأولي، فسرت في أوصالها وتمشت في عروقها، ثم ألهمتها قصائد عبرت فيها عن هول النكبة وما أعقبها من ضياع وتشتّت وآلام (المصدر نفسه، ٣١) فأول ما يلفت النظر بالنسبة إلى فدوى صبرها ومصابرتها في وطنها وإقامتها في ظل الاحتلال البغيض بحيث تأبي السكوت وتختار الجهاد بالكلمة على القتال وهي أدركت حقيقة دورها هذا لما أعلنت في قصيدتها « لن أبكي» التي أهدتها سنه ١٩٦٨م إلى شعراء المقاومة وتعلن بكل جرأة وشجاعة أنها لن تلقاهم باكية خاسعة أو يائسة متشائمة (المصدر نفسه، ٣٢) تقول فدوى:

أحبّائي
مسحت عن الجفون ضبابه الدمع الرمادية
لألقاكم وفي عينيَّ نور الحب.
الإيمان بكم، بالأرض، بالإنسان
فوا خجلي لو أني جئت ألقاكم
وجفني راعش مبلول.. (ديوان طوقان، ٤٦١)

وليست فدوى طوقان شاعرة فلسطين وحدها بل أصبحت شاعرة لدنيا العرب والعروبة. (السوافيرى،٨٧٣)

فدوى والتناص القرآني:

تُوظّف فدوى التناص في أشعارها بصور متعددة من مثل الإلماعة، وهي إشارة عابرة إلي شخصية أو أسطورة بهدف استدراج مشاركة القارىء أو استدعائها وهناك الاعتراف الصريح سواء من نصوص دينية أو أدبية، أو شخصيات وقد يكون التناص بالتوافق بين النص والمتناص وأحياناً تظهر المفارقة في اختلاف الموقفين بين العصرين من خلال توظيف الشاعرة للمتناص بالضد وأحياناً تتشابك وتتلاحم مع النص في الدلالة، رغم تباعد المسافات الزمنية بين النصين، من هنا نجد الشاعرة توظف التناص لإنتاج دلالة حركية، مازجة مستويات خطابها الشعرى بعناصر سردية وشعبية ورمزية وأسطورية، بأبيات من شعراء سابقين عليها، ونقصد في هذه الدراسة التناص القرآنى الذى قد استلهمت الشاعرة كما أسلفناه فيه بثلاثة أنواع آتية: ١- تأثرها من المفاهيم القرآنية ٢- تأثرها من القصص القرآنية ٣- تأثرها من الألفاظ القرآنية.

كانت لفدوى قصيدة اسمها « تهويمة صوفية»، تخاطب فيها ربّها وتعبر عن إيمانها بوجود إله قادر جليل وهي تهتف في صدق وحبّ مناجيةً ربّها وبالقلب ممتلئة من الحنون والألم تأمل أن ترجع إلى الله تعالى فتقول:

أنا يا ربّ قطرة منك تاهت فوق أرض الشّقاء والتنكير
فمتى أهتدى إلى منبعى الأسمى وأفنى في فيضه المنشود
ضاق روحى بالأرض،بالأسر، بالقيد،فحرر روحى وفك قيودى
ضمنى، ضمنى إليك، فقد طال إنفصالى وطال بي تشريدى

(ديوان طوقان، ١٣٠)

عند الدراسة والتأمّل حول هذه الأبيات نرى الشاعرة قد إستلهمت في مناجاتها وهتافها إلى ربّها من المفاهيم القرآنية التي يشير الله تعالى فيها إلى أن لا ملجأ إلا هو. وجاء هذه العبارة في قوله تعالى « وعلى ثلاثة الذين خلّفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنّوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثمّ تاب عليهم ليتوبوا إنّ الله هو التّوّاب الرّحيم». (توبه/١١٨). وترجو الشاعرة بالقلب الممتلئ من الحنون والألم أن ترجع إلى الله تعالى وتقول مناجيةً:

يا ربّ إما حان حين الرّدى وانعتقت روحى من هيكلى
واعنقت نحوك مشتاقةً تهفو إلى ينبوعها الأول
(المصدر نفسه، ٦٣)

ومن الواضح أن تتأثر فدوى في مفاهيم هذه الأبيات من المضمون القرآنى الذى جاء في قوله تعالى: «الذين يظنّون أنّهم ملاقوا ربّهم وأنّهم إليه راجعون» (بقره/46).

وفي فكرة الشاعرة فدوى طوقان ليست الحياة الدنيا إلا شيء فانٍ وأسباب اللهو واللعب فنراها تقول في قصيدة « أوهام في الزيتون» مستلهمة عن آية « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهوٌ ولعبٌ » (عنكبوت/64):

حلم حياةٍ سربت وانطوت طفاحة بالوهم... بالنَّشوة
لم تك إلا نغماً شاجياً على رباب الشّوق والصّبوة
(المصدر نفسه، 64)

تشير فدوى في قصيدتها « مع سنابك القمح» إلى المعبود الأزلى الذى يرزق من السماء والأرض وتقول بحالة إعجابية:

من يمطر الرزق على ذى الثّراء ويمسك الرّزق على المعدم
(المصدر نفسه،66)

اقتبست في مفهوم هذه القصيدة من قوله تعالى الذى جاء فيه: « قل من يرزقكم من السمآء والأرض...» (يونس/٣١)

وفي قصيدة «أمام الباب المغلق» التي أهدتها الشاعرة إلى صديقتها السيدة سلمى الخضراء الجيوسى باسم تدعو الناس إلى الصبر والإيمان وتمسك بالحبل الإلهى وتقول:

كل شيء دبّرته حكمة الملك
فلا تجدفوا
الخبر منه وحده
والشر منه وحده
وهذه مشيئة الملك
فاستمسكوا بالصبر والإيمان
واحمدوا (المصدر نفسه، ٣٩٥)

قد عنت الشاعرة في « فاستمسكوا بالصبر والإيمان» إلى آية قرآنية جاءت في سورة البقرة حيث يدعو الله تعالى فيها الناس إلى الاستعانة بالصبر والصلوة ويقول: « واستعينوا بالصّبر والّصلوة وإنّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين». (بقره/٤٥)

في القسم الآخر من هذه القصيدة تستلهم فدوى من مفهوم الآية ٢٥ من سورة مريم « وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيّاً» وتقول الشاعرة:

يربو، يهتز، يساقط من
حولي رطباً
بالحب سألتك حبّي ذاك السّاذج

حبي ذاك النضر (المصدر نفسه، ٤٠٠)

ترمز فدوى في بعض قصائدها الشعرية بالقصص القرآنية منها قصة "هابيل وقابيل" ابني آدم (ع) في سورة المائدة وتشير إلى هذه في قصيدة « نبوء العرافة» وهي ترمز القابيل بصهيونيزم الغاصب الذي قد تشرد المواطنين الفلسطينيّين وتقول:

و قابيل الأحمر منتصب في كلّ مكان

قابيلٌ يدقّ على الأبواب

على الشّرفات

على الجدران

الموت وقابيل الأحمر في كلّ مكان. (المصدر نفسه، ٥٣٦)

كان إبراهيم طوقان لفدوى أخاً، والداً وأستاذاً ف حياتها وأدبها فأحدث موت إبراهيم في قلبها فاجعةً لن تستطع أن تنساه ولهذا نظمت قصائد في رثائه وشبّهته بإبراهيم النّبي (ع) في الكرامة والجلالة تذكرنا قصته حول ضلال الناس في عبادة المعبود وتقول:

موحشٌ أمسى نجمةٌ موصول الشَّقاء

منذ أمسى نجمةٌ فى الآفلين

أين إبراهيم منّى، أين أين؟

حبه القلب ونور الناظرين

أنا من عيشٍ وموتٍ بين بين (المصدر نفسه، ١٤٢)

وقد اقتبست فدوى في قصيدتها من قصة إبراهيم في سورة الأنعام: « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين. فلمّا جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربّي فلمّا أفل قال لا أحبّ الآفلين. » (الأنعام/ ٧٦-٧٥)

تذكر الشاعرة في قصيدة « رجوع إلى البحر» احتلال فلسطين بيد الصهاينة وتتصور آلام المشرّدين من وطنهم وترجو أن يهزم الغاصب في المستقبل القريب ويرجع كلّ المشرّدين إلى وطنهم. إنّها تشير إلى هذا الموضوع مستلهمة قصة يوسف ويعقوب حين يدخل يعقوب النبى مصر بزيارة ولده بعد أعوام متمادية وتقول فدوى بالاقتباس من هذه القصة:

قلنا وصلنا واسترحنا

لسوف ندخلها كراماً آمنين

و هنا سنلقى عبئنا

وهنا سينسى روحنا المكدود (المصدر نفسه،٣٥٦)

كما يقول الله تعالى: « فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين» (يوسف/٩٩)

يظهر في ديوان فدوى إضافة إلى النوعين من التناص نوع آخر من التناص اللفظي اقتباساً من بعض الآيات القرآنية أو الأجزاء منها والحقيقة أنّها كان بارعةً جداً في هذا الاقتباس، تقول في قصيدتها:

آه يا قلبا يكابد الجحيم والقدر ولا مفرّ (المصدر نفسه، ٣٩٠)

ومن الواضح أن إقتبست الشاعرة لفظة الجحيم من سورة البقرة التي جاء فيها: « إنّا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم». (بقره/١١٩)

وقد ورد التناص فى كلمة (المفر) من قصيدة "من سلمى" وتقول:

أين المفر، قبور لا قرار لها تقفو خطاك مسير الدرب فارتفقى (المصدر نفسه، ٣٩٣)

كما يقول الله تعالى: « يقول الإنسان يومئذ أين المفر» (قيامت/١٠). اقتبست الشاعرة في القصيدة الأخرى من الآية القرآنية « والنجم إذا هوى» (نجم/١) وترمز فدوى هذه الكلمة بالأمل والرجاء وتشير إلى حماسة المجاهدين في سبيل حرية فلسطين وتقول:

يا ألّف هلاّ بالموت
و احترق النّجم الهاوى ومرق
عبر الرّبوات
برقاً مشتعل الصّوت (ديوان طوقان،٣٩٣)

اقتبست فدوى في قصيدة « عند مفترق الطرق» لفظة (لا تأس) من سورة المائدة التي قد جاء فيها: « فلا تأس على القوم الفاسقين» (مائده/٢٦) وتشير الشاعرة إلى هذه الآية الكريمة في قولها:

لا تأس لا يحزنك أن دربنا أضاعنا قبل الوصول (ديوان طوقان، ٤١٩)

ويظهر التناص اللفظى في قصيدة «جريمة قتل في يوم ليس كالأيام» التي أهدتها إلى روح الطالبة الشهيدة منتهى حورانى. تقول فيها:

و ما قتلوا منتهى وما صلبوها
و لكنّما خرجت منتهى
تعلق أقمار أفراحها فى السماء الكبيرة
و تعلن أنّ المطاف القديم إنتهى
وتعلن أنّ المصاف الجديد إبتدا (المصدر نفسه، ٥٠٤)

استلهمت الشاعرة كلمات « ما قتلوا وما صلبوه » من الآية الكريمة في قوله تعالى: « وقولهم إّنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتّباع الظّن وما قتلوه يقينًا» (نساء/١٥٧). وتوظف الشاعرة في قصيدة أخرى بالتضمين اللفظى من القرآن الكريم وهذه الأبيات تعكس المأساة التي يحياها الوطن تقول الشاعرة:

نخدع الحزن فلا نبكي، وأهذى:
آه يا حبي الغريب
آه يا حبي لماذا؟
وطني أصبح باباً لسقر؟ (المصدر نفسه، ٤٨١)

وذلك من قوله تعالى « إلاّ أصحاب اليمين، في جنات يتساءلون، عن المجرمين، ما سلككم في سقر، قالوا لم نك من المصلّين، ولم نك نطعم المسكين، وكّنا نخوض مع الخائضين، وكّنا نكّذب بيوم الدين» (المدثر، ٤٦-٣٩)

الخاتمة والنتيجة:

بعد مطالعة سيرة الشاعرة فدوى طوقان ودراسة أشعارها وأفكارها حصلنا على النتائج التالية:

كانت فدوى طوقان شاعرة ذائعة الصيت واستطاعت أن تدرج اسمها في كتاب الأدب العربى القيّم، جنب كثير من الشعراء االكبار في العالم العربى ولها إضافة إلى القصائد الطريفة في موضوع المقاومة لها قصائد في موضوعات مختلفة منها: الاجتماعيات، الإنسانيات، الوطنيات. ولها بصمات طبعتها في صفحات قضية فلسطين فترنمت بقصائد غرّاء وكانت لها وقع كبير بين الشعراء وفي أدبنا العربى.

نراها في ديوانها الشعرى قد استخدمت التناص القرآنى بشكل واضح. إنها تناولت التناص القرآنى بصوره العديدة في بعض أشعارها خاصةً في أشعارها التي نظمتها للمقاومة الفلسطينية بصورة رمزية واعتصمت بتضمين العبارات القرآنية، وحقيقة أنّها كانت بارعةً جداً في هذا التضمين أي التناص القرآنى.

مصادر البحث:

1-القرآن الكريم

٢-بنيس، محمد؛ الشعر العربي الحديث وإبدالاته، ط. الأولى، دار توبقال، المغرب، ١٩٩٠م.

٣-بنيس، محمد؛ ظاهرة الشعر المعاصر في الغرب – مقاربة بنيوية تكوينية، ط. الأولى، دار العودة، بيروت،١٩٧٩م.

٤-البعينى، نجيب؛، موسوعة الشعراء العرب المعاصرين، ط. الأولى، المجلد الثانى، دار المناهل، لبنان،١٤٢٩هـ-ق/٢٠٠٩م.

٥-بكار، يوسف؛ فدوى طوقان (دراسة ومختارات)، ط. الأولى، دار المناهل، بيروت، ١٤٢٥هـ-ق/٢٠٠٤م.

٦-الخضراء الجيّوسى، سلمى؛ موسوعة الأدب الفلسطينى المعاصر، ط. الأولى، مؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٧م.

٧- داغر، شربل؛ «التناص سبيلاً إلى دراسة النص الشعري»، العدد الأول، ج ١٦، مجلة فصول، ١٩٩٧م

٨-ربايعة، موسى؛ التناص فى نماذج الشعر العربى، ط. الأولى، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعة، الأردن، ٢٠٠٠م.

٩-الزغبي، احمد؛ التناص نظرياً وتطبيقياً، ط. الثانية، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٠م.

١٠-الزغبي، احمد؛ النص الغائب نظرياً وتطبيقياً، ط. الأولى، مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٠م.

١١-سعيد، سمير؛ قاموس مصطلحات النقد العربي المعاصر، ط. الأولى، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠١م.

١٢-سكاكينى، وداد؛ « فدوى طوقان شاعرة الوجد والحنين»،العدد٩٦٨، مجلة الرسالة، ١٣٧١هـ-ق.

١٣-السوافيرى، كامل؛ « وحدى مع الأيام(للشاعرة الآنسة فدوى طوقان) »، العدد ٩٩٦، مجلة الرسالة،١٣٧١هـ-ق.

١٤-طوقان، فدوى؛ أعمال الشعرية الكاملة، دارالعودة، بيروت،٢٠٠٥م.

١٥-طوقان، فدوى؛ أعمال الشعرية الكاملة، ط. الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،١٩٩٣م.

١٦-عبد المطلب، محمد؛ مناورات الشعرية، ط. الثانية، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م،.

١٧-مفتاح، محمد؛ تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)،ط. الثالثة، الدار البيضاء، المركز الثقافي الغربي١٩٩٢م.